

الإستراتيجية الجديدة لحلف شمال الأطلسي في الشرق الأوسط

وداد غزلاني *
كنزة فني **

مقدمة

بعد فترة الحرب الباردة شهد حلف شمال الأطلسي مجموعة من التغيرات ولدتها البيئة الأمنية الجديدة، والتي أثرت بدورها على مسألة استمراريته وأدواره التي يتوجب عليه أدائها. واستجابة لهذه المتغيرات، قام الحلف بإعادة صياغة إستراتيجيته، ضمن أطر وأدوار جديدة سمحت له بالتواجد في دائرة صنع القرار الدولية، ومكنته من إعادة التكيف مع الأحداث التي تلت الحرب الباردة على غرار أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. واعتبرت منطقة الشرق الأوسط الكبير من ضمن الأولويات الأولى في الأجندة الأمنية لحلف شمال الأطلسي، كونها المنطقة الأكثر ديناميكية من ناحية التوترات والاستقرار الأمني، كما أنّها المصدر العالمي الأول للموارد والثروات التي تؤثر وتتأثر بالاقتصاد العالمي، وتؤثر بذلك على السلم والأمن الإقليميين والدوليين.

ولقد رسم حلف شمال الأطلسي العديد من المهام والمبادرات للتواجد بالشرق الأوسط الكبير وتنفيذ إستراتيجيته العسكرية والمدنية من خلال سلسلة من التدخلات التي قادها، وأيضا عمليات التدريب والمساعدات التي قام بها في أراضي المنطقة، وكان لهذا التواجد العديد من التبعات الأمنية على كل من الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي من جهة، وعلى دول منطقة الشرق الأوسط الكبير من جهة أخرى، ولذلك فإنّ التدخل الأطلسي في الشرق الأوسط له العديد من الإشكالات التي تؤثر على رسم مسار الأحداث في المنطقة العربية، لذلك فإنّ هذه التدخلات أخذت منحى واقعيّاً في التفسير وآخر ارتبط إلى حد كبير بنظرية الأمننة، وللتعامل مع هذه الإشكالية تمّ طرح السؤال التالي : هل التواجد الأطلسي بمنطقة الشرق الأوسط الكبير محكوم بدوافع واقعية ، أم هو أمننة كلية لضمان الاستمرارية؟

(*) عميدة كلية الحقوق
والعلوم السياسية في
جامعة قلمة . الجزائر.
(**) باحثة في العلوم
السياسية . جامعة
قلمة.

١ - أداء حلف شمال الأطلسي حسب النظرية الواقعية

تسهم الواقعية في محاولة فهم العلاقة الموجودة بين حلف شمال الأطلسي والأمن وهو ما بينه جون ميرشايمر:

"حلف شمال الأطلسي يشكل مثالا جيدا من الفكر حول المؤسسات، وحلف شمال الأطلسي مؤسسة ومن المؤكد أنه لعب دوراً في منع قيام حرب عالمية ثالثة، ومساعدة الغرب في ربح الحرب الباردة... حلف شمال الأطلسي أساسا كان أداة لإدارة القوة في مواجهة الإتحاد السوفياتي، حاليا مع سقوط الإتحاد السوفياتي، الواقعيون أكدوا أن الحلف أيضا يجب أن يختفي أو يعيد بناء نفسه على أساس التوزيع الجديد للقوة في أوروبا".

وحسب الطرح الواقعي فإنّ الأحلاف عادة ما تكون قصيرة المدى، وتنتهي بانتهاء التهديد، وبالتالي تبدأ مصالح الدول الأعضاء بالانقسام والاختلاف، لكن بالنسبة للحلف الأطلسي يمكنه أن يستمر لمدة من الزمن وهذا يعود لمميزاته وخصائصه، ولكن لن تكون هناك جدوى لوجوده بتراجع الدور الأميركي في أوروبا^(١).

فقد سهل الحلف التواصل ما بين الدول الأعضاء، كما أكد جون دافيلد John Daffield على أنّ المميزات المؤسساتية للحلف أسهمت مؤكدا في استمراريته، كما أنّ الطاقم القيادي فيه ساعد الحلف على التكيف مع تغير الظروف الخارجية من خلال رسم مهام جديدة للحلف ترتبط بطبيعة القضايا، مع تحديد الطرق المناسبة لإنجاز هذه المهام، كما أكد على ذلك روبرت ماكلا Robert Maccla أنّ استمرارية الحلف بعد الحرب الباردة تعود إلى طابعه المؤسساتي.

وتطرح الواقعية سؤالاً آخر بشأن الأحلاف عموماً وحلف شمال الأطلسي خصوصاً، هل تؤثر المؤسسات (الأحلاف) على الأمن القومي، وإذا كانت الإجابة بنعم، فكيف يكون ذلك؟ والتحليل الواقعي في هذه الحالة مرتبط بالأمن التعاوني cooperative security، فأمن دولة داخل الحلف مرتبط بأمن الدول الأخرى، وهو ما يعتبر اعتماداً أمنياً متبادلاً - security interdependence وقد أظهر حلف شمال الأطلسي دوره في مجموعة من الأزمات التي واجهته.

فحلف شمال الأطلسي هو منظمة دولية ومؤسسة أمنية تؤدي أدوار أمنية حاسمة في عمق القارة التي شهدت حربين عالميتين، وبالتالي فأجهزتها المؤسساتية هي انعكاس لمقارباتها المؤسساتية للأمن على غرار الأمن الجماعي والجماعة الأمنية، ولكن بغياب التهديد الواضح فالحلف عليه إعادة تقييم للعلاقات عبر الأطلسية، فلا يمكنه تحقيق الأمن الخارجي إذا لم يحقق التناسق الداخلي، فالعلاقات عبر الأطلسية ستكون في خطر إذا لم يتم التحكم في عملية التوسيع، وأيضاً إذا لم تظهر الدول الأعضاء التزامها الفعلي في

Sean Kay, NATO (١) and the future of european security, (USA : Rouman and Littlefield Publishers, 1998), pp6-9.

الحلف، فتكيف الحلف بعد الحرب الباردة حدد بالاستجابة المناسبة لمتغيرات البيئة الأمنية الجديدة، التي شهدت نوعاً جديداً من التهديدات، الذي يتطلب التحرك الجماعي القائم على تطوير آليات أخرى إلى جانب الآلية العسكرية و بعد أحداث ١١/٩/٢٠٠١، ظهر تهديد فعلي مس بالأمّن الدولي، مما يدفع بالحلف إلى إعادة النظر في استراتيجياته^(٢). من خلال المقاربة الواقعية لحلف شمال الأطلسي، يمكن أن نلاحظ أنّ التوجه نحو الشرق الأوسط الذي بدأت بوادره في أعقاب نهاية الحرب الباردة هو لضمان الاستمرارية من خلال التركيز على التجديد المؤسّساتي لأجهزة الحلف، وقياداته، وهو ما ظهر بشكل جلي في المفاهيم الإستراتيجية التي تبناها الحلف، لذلك فإنّه ومن هذا المنظار فإنّ استمرارية الحلف ترتبط بقدرته على مواجهة التهديدات الحديثة والتي يعتبر الشرق الأوسط بؤرة مفرخة للعديد من التهديدات غير التقليدية، كونها مراكز إستراتيجية لثروات عالمية نادرة من جهة، كما أنّها أنظمة مصدرة للتهديدات التي تمس السلم والأمّن الدوليين. لذلك فإنّه يتحتم على حلف شمال الأطلسي كونه منظمة أمنية تسعى لأن تكون عالمية بعد الحرب الباردة، مواجهة المتغيرات الأمنية المستجدة، لإثبات قدرتها على الاستمرارية، كما عبر عن ذلك كنيث والتز K. Waltz فإنّ أيامه ليست معدودة ولكن سنواته كذلك "NATO's days are not numbred, but its years are"^(٣).

٢ - نظرية الأمنة وتحول خطابات حلف شمال الأطلسي

تأسيس حلف شمال الأطلسي : أمنة الشرق ولأمنة الغرب:

لقد تمّت أمنة الإتحاد السوفياتي، كونه خطراً يواجه المعسكر الغربي ويتطلب المواجهة المستعجلة من خلال تعزيز الخطاب حول خطورة هذا التهديد، وبناء وعي مشترك حول مدى إمكانية تأثير الإتحاد السوفياتي على دول أوروبا الغربية، وعلى الولايات المتحدة الأميركية، وزيادة نسبة التخوف من توسع وامتداد الخطر الأحمر، لذلك فإن حلف شمال الأطلسي يشكل في هذه الحالة وسيلة فعالة في مواجهة حلف وارسو من جهة، ومن جهة أخرى تشكيل مركب أمني إقليمي يقف في وجه المد السوفياتي والتهديدات التي قد يفرزها.

كما تمكن الحلف من لأمنة الغرب والذي تشكلت دوله الأعضاء في إطار الحلف كجماعة أمنية إقليمية تتقاسم إقليم جغرافي موحد، ولديها شبكة من العلاقات في مواجهة العدو المشترك الذي بإمكانه التأثير على إحدى الدول الأعضاء، أو على الحلف ككل، وبالتالي اتخاذ الآليات والإجراءات خصوصاً ذات الطابع العسكري لمواجهة المد السوفياتي وتعزيز القيم المشتركة بين دول الحلف من أجل تحقيق أمن دول أوروبا الغربية من جهة، والولايات المتحدة الأميركية من جهة أخرى، مع محاولة التوسع نحو دول أوروبا الوسطى،

(٢) Ibid., pp10-11.
(٣) Mark Webber and al, NATO's post cold war trajectory, decline or regeneration, (UK :palgrave Macmillan, 2012), p35.

كما أن الحلف استطاع لأمننة العلاقات بين دول أوروبا الغربية، والولايات المتحدة الأميركية، وحتى بين الدول الأوروبية، على الرغم من النقاشات المتصاعدة بين الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا حول القيادة الأميركية للحلف في ستينيات القرن العشرين^(٤).

التحديات الأمنية الجديدة بعد الحرب الباردة:

بعد سقوط الإتحاد السوفياتي، واستقرار العلاقات داخل حلف شمال الأطلسي، وانتهاء الحرب الباردة، لم تعد التهديدات ذات طبيعة عسكرية مرتبطة بالإتحاد السوفياتي وبالتوترات داخل الحلف وإنما أصبحت ذات طبيعة غير عسكرية من نوع آخر، وإذا تم تفسيرها من منظور نظرية الأمنة، فإنها ارتبطت بقطاعات أخرى، سياسي ومجتمعي وبيئي واقتصادي، وظهرت بذلك مجموعة من القضايا على غرار حقوق الإنسان، اقتصاد السوق، سيطرة القانون، الديمقراطية...، وأصبحت هذه القضايا بمثابة إعادة بعث لحلف شمال الأطلسي للتكيف والتعامل معها^(٥).

فاختفاء التهديد الشرقي، وإعادة توزيع القوة في أوروبا يتطلب مراجعة لحلف شمال الأطلسي وإستراتيجية الرد المرن التي تبناها، وعلى رأس هذه المراجعات عقلنة أسباب استمرارية الحلف، في وقت انتهت فيه الحروب ذات الطبيعة الدولانية والعسكرية، وهو ما دفع به إلى التوسع نحو شرق وسط أوروبا، ونحو الشرق الأوسط، كون التهديدات الجديدة ذات أوجه و أبعاد متعددة مما يجعل من الصعب توقعها ومواجهتها.

وبالتالي انتهج الحلف مجموعة من الاستراتيجيات الجديدة لمواجهة هذه التهديدات غير التقليدية والتي قام بأمننتها كونها أصبحت تمس الفرد بالدرجة الأولى، ومن هنا فإن أمننة التهديدات غير التقليدية كان في صلب اهتمامات حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، و بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، على غرار الإرهاب، والجريمة المنظمة، والنزاعات الإثنية، وقاد على إثرها مجموعة من التدخلات، بدءاً من التدخل في البلقان في تسعينيات القرن الماضي، إلى التدخل في ليبيا في مطلع القرن الحالي.

وانتقل الحلف بذلك من الأمنة الجزئية المرتبطة بتهديد يمس دولة أو إقليم إلى الأمنة الكلية التي ارتبطت بالتهديدات الحديثة ذات الطابع الدولي الشمولي، على غرار الإرهاب، الذي برز تأثيره بشكل كبير بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وأيضاً تلك التهديدات التي شهدتها البيئة الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة، على غرار النزاعات الإثنية ذات الطابع الإنتشاري.

الهدف من حلف شمال الأطلسي حسب نظرية الأمنة:

نظرية الأمنة لم تشرح كيفية تأسيس الحلف وتحوله واستمراريته، وبالتالي فقد حاولت شرح الميكانيزمات السببية لأداء الحلف بمعنى التركيز على خطابات الفواعل وطرح الأسئلة حول إعادة الأمنة re-securitisation واللاأمننة de-securitisation ضمن

(٤) Galbi

Schlag, securitisation theory and the evolution of NATO, in Mark Webber and Adrian Hyde -Price (ed), theorising NATO :new perception on the Atlantic Allianc, op.cit., p171. Ibid., pp171-174. (٥)

الأجندة الأمنية للحلف، حيث ظهرت دوافع اللاأمننة في المركب الأمني الإقليمي عبر الأطلسي، فنظرية الأمننة مكنت من الإجابة عن الأسئلة التي تدور حول من يمثل الخطر تجاه من؟ لماذا الأوضاع غير الآمنة يمكنها أن تتغير عبر الزمن؟، فالدراسة المقارنة لأنظمة الأمننة واللاأمننة عبر الزمن والمؤسسات التي يجب أخذها بعين الاعتبار، لفهم كيف يختلف حلف شمال الأطلسي عن باقي المؤسسات، فالتهديدات والأوضاع اللاأمننة موجودة حتى لو كانت الولايات المتحدة الأميركية و أوروبا مناطق سلام، فالمسألة الرئيسية لا ترتبط باستمرار حلف شمال الأطلسي في مقابل حلف وارسو، وإنما في قدرته على وضع تصور للأمن و في بعض الأحيان فرض سيطرته على هذا التصور، مع عمله على تعزيز علاقات اللاعنف داخليا^(٦).

ولقد ظهر المفهوم الإستراتيجي الجديد على المستوى الكلي من خلال الإنتقال في طبيعة مهام حلف شمال الأطلسي، وسلسلة التدخلات التي قام بها، وكانت النتيجة التراكمية لمختلف الأنشطة التي قام بها هي إعادة أمننة روسيا، التي أصبح لها تأثير في الأزمات الدولية، على غرار ما حدث في أوكرانيا وبالتالي فالهدف من وراء وجود حلف شمال الأطلسي حسب نظرية الأمننة مرتبط بقدرة الحلف على المحافظة على تناسقه و استمراريته من خلال الأمننة، واللاأمننة، وإعادة أمننة التهديدات.

فالحلف لم يكن مجرد حلف عسكري منذ بداياته، فهو عبارة عن حلف ضم مجموعة من الدول الأعضاء التي عملت و تعمل معا، وهو ما أنشأ جماعة متمائلة الفكر like minded states، والتي تتقاسم المبادئ المشتركة فقد أكد توماس ريكس كابن Thomas Rix Kap-pen، أن الحلف لا يقوم فقط على المصالح المشتركة، وإدراك التهديدات، وإنما يقوم على الهوية الجماعية الديمقراطية.

فمنذ تأسيس حلف شمال الأطلسي، اعتبرته الدول الأعضاء الحجر الأساسي في استراتيجيات تحقيق أمن المعسكر الغربي أيام الحرب الباردة، من خلال التركيز على القيم الديمقراطية المشتركة ومتى تعرضت هذه القيم للخطر، قام الحلف بشرعنة سياسات جديدة، من أجل التأكيد على وحدة الحلف، وإدامة عمل البنى المؤسساتية للتعاون العسكري والسياسي، فهناك علاقة وطيدة بين قدرة الدول الأعضاء على تحديد القيم التي يقوم عليها الحلف، على أنها عالمية universal values، وبين قدرة الحلف من جهة أخرى على شرعنة الدفاع عن الدول الأعضاء داخل الإقليم و حتى خارج الحدود، إذا تطلب الأمر.

وحسب نظرية الأمننة، فإن حلف شمال الأطلسي واستمرارته ارتبطت بقدرته على التكيف مع متغيرات البيئة الأمنية وأمننة القضايا التي اعتبرت بمثابة تهديدات مست وتمس بأمن الدول الأعضاء، وبالأمن الدولي ككل، خاصة في ظل سعي الحلف لأن يكون منظمة أمنية

عالمية، وهو ما ظهر في المفاهيم الإستراتيجية التي صاغها الحلف منذ المعاهدة المنشأة له، وقد تمكن الحلف من تحديد التهديدات وربط الأوضاع للأمن، وتمكنه من أمننة هذه التهديدات، أو نزع الأمنة عنها، أو إعادة أمننتها من أجل ضمان استمراريته وتحقيق مصالحه^(٧).

ومن هذا المنظار فإنّ توجه حلف شمال الأطلسي نحو الشرق الأوسط الكبير هو تعبير عن أمننة لقضايا وتهديدات، يتوجب على الحلف مواجهتها تماشياً مع ما تمّ تسطيره في استراتيجية الحلف، لذلك فهناك تكامل مابين المنظار الواقعي ومنظار الأمننة في تفسير توجهات حلف شمال الأطلسي نحو الشرق الأوسط الكبير سواء عن طريق القوة المرنة أو الصلبة أو الذكية، بحسب ماتمليه طبيعة التهديد وطرق مواجهته، ويمكن فهم توجهات حلف شمال الأطلسي وفقاً للنظرية الواقعية ونظرية الأمننة من خلال التدخلات الواقعية للحلف في الشرق الأوسط الكبير.

٣- التحولات الإستراتيجية الجديدة في عقيدة حلف شمال الأطلسي:

مرّ حلف شمال الأطلسي بثلاث مراحل تاريخية اعتبرت بمثابة نقطتي تحول في مساره، وأثرت بذلك على الإستراتيجيات التي تبناها، تتمثل هذه المراحل في:

المرحلة الأولى: بعد نهاية الحرب الباردة

على إثر انهيار الإتحاد السوفياتي وظهور نظام دولي جديد تحول الهدف من وراء إنشاء حلف شمال الأطلسي وضمان استمراريته، من مواجهة المد الشيوعي إلى الحفاظ على أمن القارة الأوروبية في ظل تغير البيئة الأمنية والمعطيات التي فرضت نفسها على الساحة الدولية وعلى الحلف على حد سواء، فقد تمّ شن تحالف دولي على العراق في ١٩٩١، وانعقاد مؤتمر مدريد للسلام حول الشرق الأوسط، والتدخل في كوسوفو في ١٩٩٩، وبناءً على هذه الأحداث قام حلف شمال الأطلسي بعقد اجتماع في واشنطن في ١٩٩٩، وركز من خلاله على عدة نقاط اعتبرت أساسية في صياغة إستراتيجيته لفترة ما بعد الحرب الباردة وتمثلت في:

* تغيير المفاهيم الأمنية، وإخراجها من الطابع العسكري إلى الطابع الإنساني، والمجتمعي والسياسي، والاقتصادي، والبيئي...، حيث تتهدد هذه الأبعاد الأمنية الجديدة بالعديد من التحديات الصاعدة:

* اعتماد إستراتيجية التحرك خارج الحدود "out of area" ومد النفوذ إلى الدول غير الأعضاء وعلى هذا الأساس تمّ إطلاق العديد من المبادرات والمهام لمواجهة التهديدات الأمنية غير التقليدية:

* العمل على تجاوز الخلافات الداخلية داخل الحلف وبين الدول الأعضاء، خاصة في ظل

محاولة الاعتماد الأوروبي على سياسة دفاعية مستقلة عن الحلف، من خلال قمة بروكسل في ٢٠٠٣ عندما قامت الدول الأوروبية بإنشاء وكالة أوروبية للتسلح وقوة رد سريع^(٨).

المرحلة الثانية: بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر:

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر قامت الولايات المتحدة الأميركية بالتدخل في أفغانستان في ٢٠٠١، وبشن الحرب على العراق في ٢٠٠٣، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من الانتقادات للحلف واتهامه بالتقصير، والتساؤل حول أدواره المستقبلية، وطبعت هذه المرحلة بالعديد من المظاهر:

* الهدف من تشكيل الحلف هو الحفاظ على أمن الدول الأعضاء، لكن انفراد الولايات المتحدة الأميركية بالتدخل في العراق وتطبيقها للإستراتيجية الوقائية كان بمثابة عامل لتفريق الرؤى واختلافها حول أداء الحلف والغرض من استمراريتها؛

* الإرهاب ظاهرة غير محددة المعالم من حيث الزمان والمكان، وتبني حلف شمال الأطلسي لمسؤولية مكافحة الإرهاب هو قرار غير عقلاني وغير رشيد، لغياب المؤهلات اللازمة لتنفيذ المهمة؛

* عقد قمة براغ وانضمام سبع دول من وسط وشرق أوروبا؛^(٩)

المرحلة الثالثة: المفهوم الإستراتيجي الجديد:

ركز المفهوم الاستراتيجي الجديد على المادة الخامسة من الميثاق، مع محاولة تعميمها على كل المناطق المهددة للسلم والأمن الدوليين، من خلال تطبيق مبدأ الحماية والدفاع protection and defense تجاه التهديدات الأمنية الجديدة، وركزت الوثيقة التي صيغ فيها المفهوم الاستراتيجي الجديد على ثلاثة مبادئ أساسية:

* الدفاع الجماعي: collective defense دول الحلف تقوم دائماً بمساعدة بعضها البعض ضد التهديدات والتنسيق فيما بينها من خلال المادة الخامسة من الميثاق؛

* إدارة الأزمات: crisis management يمتلك حلف شمال الأطلسي قدرات فريدة وفعالة سياسية وعسكرية للتعامل مع طائفة واسعة من أنواع الأزمات؛

* الأمن التعاوني: cooperative security حلف شمال الأطلسي يؤثر ويتأثر بالتطورات الأمنية الحاصلة فيما وراء الحدود، لذلك يمكنه التدخل لتعزيز السلم والأمن الدوليين من خلال الشراكة.

ومن خلال مفهوم الاستراتيجي الجديد والتحول في العقيدة الاستراتيجية فإن الحلف يحاول أن يكون منظمة أمنية عالمية^(١٠).

٤ - دوافع تدخل حلف شمال الأطلسي في الشرق الأوسط الكبير

تتعدد العوامل التي تدفع بحلف شمال الأطلسي للاهتمام بالشرق الأوسط الكبير، وتعزيز

(٨) محمد جميل الشخيلي، "الإستراتيجية الجديدة لحلف شمال الأطلسي في منطقة الخليج العربي"، مركز الروابط للدراسات والبحوث، (٢٥/١/٢٠١٥)، على الرابط: <http://www.rwabcenter.com/archives/3255>

(٩) نفس المرجع السابق.
Jens Ringsome- (١٠) and Sten Ryning, "introduction.taking stock of NATO's new strategic concept", Jens Ringsome and Sten Ryning (ed) in NATO new strategic concept :a comprehensive assessment, DIIS , (Copenhagen 2011), pp14-15.

الحوار مع دوله، وتحقيق الأمن والاستقرار فيه، خاصة وأن الدول الأعضاء في الحلف تمتلك الكثير من المصالح الاستراتيجية في المنطقة، وتتمثل هذه العوامل في:

* تمتلك الدول الأعضاء في الحلف مصالح كبيرة في الشرق الأوسط الكبير، وتحقيق الاستقرار في هذه المنطقة هو من أهم عوامل تحقيق مصالحها، من خلال مواجهة التهديدات الأمنية الصاعدة على غرار مكافحة الحركات الإسلامية المتطرفة في العراق وأفغانستان، ومواجهة الانتشار النووي في إيران، والنزاعات الداخلية الإثنية في اليمن، لذلك فتوجه الحلف نحو الشرق الأوسط الكبير هو ضمان لاستمراريته؛

* التكامل العلائقي بين طرفي المحيط الأطلسي، ويعتبر الحلف الأطلسي البديل الأفضل للحفاظ على هذه العلاقة وتعزيزها وفي نفس الوقت تحقيق المصالح الإستراتيجية^(١١)؛

* التحديات والتهديدات اليومية المتصاعدة على غرار الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل والجريمة المنظمة والدول الفاشلة والجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، هي تهديدات وتحديات مشتركة بين دول الشرق الأوسط الكبير ودول الحلف، لذلك يجب تطبيق الأمن التعاوني لدرئها؛

* الإمكانيات التي تمتلكها دول الشرق الأوسط الكبير ضعيفة مقارنة بحجم التهديدات، كونها تعاني من اللااستقرار، الذي يرجع للمشاكل السياسية ذات الأبعاد المتعددة غير المعالجة، كما يبقى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مصدر لتصاعد وتوتر العلاقات بين دول المنطقة، وهو ما يفتح المجال لحلف شمال الأطلسي للتدخل من أجل الحفاظ على الاستقرار لضمان استمرارية تحقيق أهدافه؛

* الأمن الطاقوي من أهم القضايا التي تشغل الأولوية الأولى في الأجندة الأمنية لحلف شمال الأطلسي، حيث أن دول منطقة الشرق الأوسط الكبير هي مصدر وممر للموارد الطاقوية بمختلف أنواعها، فالأمن الطاقوي وثيق الارتباط بالاستقرار في الشرق الأوسط^(١٢).

٥ - توجهات وأدوار الحلف في منطقة الشرق الأوسط الكبير

توجه اهتمام حلف شمال الأطلسي بمنطقة الشرق الأوسط الكبير منذ قمة قادة دول الحلف في روما ١٩٩١، كما أقر بيان قمة واشنطن لعام ١٩٩٩ أن أمن الدول الأعضاء مهدد بشكل مباشر وغير مباشر من أزمات إقليمية في المناطق المحيطة والبعيدة عن الأطلسي، مما يتولد عنها تهديدات ذات طبيعة مختلفة، وتعتبر منطقة الشرق الأوسط الكبير من أهم المناطق التي تنتج وتصدر هذا النوع من التهديدات، وهو ما يجعل الحلف يضعها ضمن أولوياته الأولى في أجندته الأمنية وإستراتيجيته الخارجية.

لذلك فقد جعل حلف شمال الأطلسي من منطقة الشرق الأوسط الكبير ضمن المجال

Philip Gordon, (١١)
"NATO's growing
role in the Great Middle
East," Emarate
Lecture Series,
(ESSR, 2006), pp 5-
4.
Oktay Bingöl, (١٢)
"NATO's influence in
the near broad, secur-
ity policy library,"
(the Norwegian At-
lantic Committee,
2012), pp 4-5.

الحيوي الذي يحرك فيه استراتيجياته، ويحقق من خلاله المصالح السياسية والأمنية والعسكرية وكذلك الاقتصادية، كما أنّ هذه التوجهات الجديدة قد أسهمت في التغيير السياسي والأمني الذي حصل في العراق، وظهرت في قمة اسطنبول عام ٢٠٠٤، وفي اجتماع وزراء دفاع الحلف في نيس عام ٢٠٠٥، وفي مؤتمر روما عام ٢٠٠٥ حول الدور الذي يجب لعبه في منطقة الشرق الأوسط الكبير، ومن أهم الأدوار التي تمّ تسطيرها:

- * محاولة تغيير النظام السياسي للدول؛
- * التدخل لمنح حق تقرير المصير لقومية، أو إثنية محددة مثل ما حصل في شمال العراق؛
- * التدخل في قضية الصراع العربي - الإسرائيلي؛
- * محاولة إعادة ترتيب الأوضاع الأمنية في دول المنطقة، مثل ما حدث في إيران؛
- * التدخل في دول منطقة الخليج وماجاورها جغرافيا، في إطار تحقيق أمن الخليج وأمن الممرات المائية والتجارية لضمان تدفق الموارد الطاقوية؛
- * التدخل للتفتيش عن أسلحة كيميائية وبيولوجية؛
- * التدخل لمنع حركات العنف والتطرف، والتدخل الإنساني(١٣).

كما يظهر هذا التوجه من خلال التصورات الأطلسية في تحقيق الأمن في الخليج العربي، كون التهديدات التي تواجهها في هذه المنطقة نابعة من المناطق المجاورة مثل العراق وإيران، وقد قام حلف شمال الأطلسي بالتعاون مع إسرائيل من خلال الحوار المتوسطي متعدد الأطراف، الذي ضمّ كل من إسرائيل، والأردن، والمغرب، وتونس، والجزائر، وموريتانيا، وظهرت بوادر التعاون من خلال:

- * مشاركة إسرائيل في مناورات بحرية أجراها حلف شمال الأطلسي في البحر الأسود؛
- * إشراك حلف شمال الأطلسي في العملية البحرية لمكافحة الإرهاب في البحر الأبيض المتوسط؛

- * انضمام إسرائيل إلى نظام التصنيف التابع لحلف شمال الأطلسي؛
- * توطيد العلاقات بين إسرائيل وحلف شمال الأطلسي يمكن اعتباره كمنفذ لتسهيل تنفيذ استراتيجيات الحلف في المنطقة.

تقوم الإستراتيجية الجديدة لحلف شمال الأطلسي على العمل خارج الحدود، ممّا يعزز تحرك الحلف تجاه المنطقة عبر مسالك التعاون والحوار، بالإضافة إلى سلسلة التدخلات العسكرية التي تمّ قيادتها أو الإشراف عليها في المنطقة وتطبيق إستراتيجية إدارة الأزمات، على غرار مؤتمر الأمن والتعاون في المتوسط، كما أنّ الحلف وفي ظل إدارة الأزمات قام بتعزيز الشراكة لتحقيق السلام، لمعالجة المخاطر الكامنة كأسلوب وقائي، ومواجهتها عسكريا إذا ما تحولت إلى تهديدات فعلية، ممّا يمنح الحلف الحق في معالجة أي مسألة تمس مصالحه الحيوية في المنطقة(١٤).

(١٣) محمد حسون، "الإستراتيجية التوسعية لحلف الناتو وأثرها على الأمن القومي العربي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية والاقتصادية، المجلد ٢٦، العدد ٢، (٢٠١٠)، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.
(١٤) نفس المرجع السابق، ص ٣٦٠.

وقد أبرم حلف شمال الأطلسي مجموعة من الاتفاقيات مع كل من مصر، وتونس، والمغرب، وموريتانيا، والأردن، والتي بموجبها تكون هذه الدول العربية ملزمة بتقديم تسهيلات عسكرية وإدارية وخدماتية لقوات التحالف إذا ما اضطر الحلف للقيام بعمليات عسكرية في منطقة الشرق الأوسط الكبير، وهناك مجموعة من الأنشطة المتبادلة بين الدول الأعضاء في الحلف ودول منطقة الشرق الأوسط الكبير، نذكر منها مايلي:

- * منح المغرب صفة الحليف الأساسي من خارج دول الحلف في ٢٠٠٤؛
- * إجراء مناورات عسكرية مع الجزائر في ٢٠٠٤؛
- * إجراء حوار حول المسائل الأمنية الإقليمية المتعلقة بالدفاع والأمن مع كل من قطر، والكويت والبحرين، والإمارات في مؤتمر روما في ٢٠٠٥ (١٥).

٦ - مهام حلف شمال الأطلسي في الشرق الأوسط الكبير

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، تنامي دور حلف شمال الأطلسي في الشرق الأوسط الكبير بدءاً من عمليات حفظ السلام ومكافحة الإرهاب في أفغانستان، وتدريب القوات العسكرية في العراق، والتدخل الإنساني في باكستان والسودان، والحوارات الأمنية السياسية في الخليج و شمال إفريقيا.

* عمليات الناتو في أفغانستان: يعتبر تدخل حلف شمال الأطلسي من أهم المهام التي قام بها الحلف في الشرق الأوسط الكبير والأول من نوعه خارج الحدود الأوروبية، وبدأ هذا التدخل في ٢٠٠٣ من خلال قوات المساعدة والأمن الدولي International Security and Assistance Force (ISAF).

* عمليات تدريب القوات العسكرية في العراق: على الرغم من أن إعلان الولايات المتحدة الأميركية الحرب على العراق قد أحدث انقسامات داخل الحلف واختلافات حول الرؤى بين أعضائه، كون الولايات المتحدة الأميركية أعلنت التدخل وحيدت الحلف الأطلسي، إلا أن الحلف قد استطاع لعب دور التدريب للقوات العسكرية، وهو ما أتاح له فرصة التدخل والتواجد بالمنطقة، على الرغم من المعارضة التي أظهرتها بعض الدول الأعضاء.

* دعم عمليات حفظ السلام في السودان: منذ عام ٢٠٠٣ اندلعت أزمة إنسانية في السودان في إثر النزاع الداخلي بين مليشيات عرب جنجاويد المدعومة من طرف الحكومة في الخرطوم وبين حركة المعارضين السود، ونظراً للنسبة المتزايدة لعدد الضحايا، تمت دعوة الحلف الأطلسي لتقديم المساعدة اللوجستية والتدريب من أجل تعزيز عمليات حفظ السلام، وبذلك أتيحت الفرصة للتدخل في إفريقيا، وأعطى مثالا عن المهام ذات الطابع غير التقليدي في التعامل مع الأزمات.

* عملية المساعدة في باكستان: وذلك من خلال تقديمه للمساعدات جراء زلزال عنيف

(١٥) نفس المرجع السابق، ص ٣٦٢.

Philip Gordon, (١٦) op.cit., pp 8-9-12-13-16-19.

ضرب المنطقة^(١٦).

* تطبيق المادة الخامسة من الميثاق، والدفاع عن أمن الولايات المتحدة الأميركية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر؛

* نشر القوات الأطلسية في أفغانستان، والالتزام بمهمة بناء الدولة، فقد بلغت قوات ايساف حوالي ١٣٠٠٠٠ مقاتل في ٢٠١٢، و ضمت خمسين دولة مشاركة في العملية، من بينها ثمانية دول عربية، مثل الأردن، والإمارات، والبحرين...؛

* تدريب القوات العراقية، وإنشاء قوة الرد للحلف NATO response force، تضم حوالي ٢٠ ألف مقاتل، وبإمكانها التواجد في أي منطقة تهديد في العالم، وقد تمّ نشر هذه القوات في أفغانستان؛

* تقديم الدعم للجنود التابعين للإتحاد الإفريقي في عمليات حفظ السلام في السودان؛

* إنشاء فريق خاص للتعامل مع التهديدات الكيماوية والبيولوجية والنووية؛

* قيادة عمليات التدخل في ليبيا^(١٧)؛

كما قام الحلف بمجموعة من المبادرات تمثلت في:

* الحوار المتوسطي:

منذ إعلان مبادرة الحوار المتوسطي في ١٩٩٤، تزايد عدد الدول المشاركة في هذه المبادرة، ففي البداية انضمت كل من مصر وموريتانيا، والمغرب، وتونس، ثمّ في ١٩٩٥ انضمت الأردن، وفي ٢٠٠٠ انضمت الجزائر، والهدف من المبادرة حسب حلف شمال الأطلسي هو بناء مجلس للثقة والشفافية من أجل كسب الخبرة حول القضايا الأمنية، وتبديد الظنون والشكوك حول أهداف الحلف وسياساته وتضمن الحوار مايلي: التعاون العسكري، اللقاءات الثنائية ومتعددة الأطراف على مختلف المستويات، تبادل الخبرات حول مواجهة الإرهاب...^(١٨).

* مبادرة اسطنبول للتعاون:

تمّ الإعلان عنها في تركيا، في حزيران/يونيو ٢٠٠٤، وكان الهدف من ورائها المشاركة طويلة الأمد في الأمن الإقليمي والشامل، من خلال التعاون المشترك بين دول الشرق الأوسط الكبير وحلف شمال الأطلسي وشاركت فيها كل من قطر، والبحرين، والكويت، والإمارات، ثمّ انضمت السعودية وعمان.

* المفهوم الإستراتيجي الجديد:

هو أهم مبادرة من خلال التركيز على التدخل النشط مع كل الشركاء، ويعتمد نجاحها على التفاعلات التي تشهدها المنطقة^(١٩). يرتبط المفهوم الإستراتيجي الجديد بالشرق الأوسط الكبير من خلال المبادرات التي قام بها الحلف والتي يقوم بتعزيزها في المنطقة على غرار مبادرة الحوار المتوسطي، وأيضا مبادرة اسطنبول للتعاون، حيث على مستوى

1 - Oktay Bingöl,^(١٧)
op.cit., p. 6.

NATO,"Security ^(١٨)
cooperation with
Mediterranean region
and the broader Middle
East,"p 05.on:
[http://www.nato.int/
docu/mediterranean/
scopmed-e.pdf](http://www.nato.int/docu/mediterranean/scopmed-e.pdf)

Oktay Bingöl,^(١٩)
op.cit., p 09.

التعاون الثنائي لا توجد الكثير من المشاكل، وبالتالي تطبيق مبدأ الشراكة الذي نصت عليه الإستراتيجية الجديدة لا يعد بالأمر الصعب، فمن المهم تعزيز التعاون متعدد الأطراف من خلال مبادرة اسطنبول للتعاون هذا من جهة، ومن جهة أخرى الحوار المتوسطي الذي في ظل المفهوم الإستراتيجي الجديد تمّ تطبيق مبادئه على أرض الواقع، المرتبطة بالأمن التعاوني وإدارة الأزمات، وذلك من خلال تحديد الطبيعة المشتركة للتهديدات، وتطبيق قاعدة تقاسم الأعباء لتحقيق المصالح، من وراء فتح باب الشراكة بين حلف شمال الأطلسي ودول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

فالإرهاب والفصائل المتطرفة، وأسلحة الدمار الشامل، والجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية تعتبر من أهم التهديدات التي تمس منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، لذلك فهي بيئة أمنية خصبة تمكن حلف شمال الأطلسي من التواجد فيها، وتطبيقه لمبادئ المفهوم الإستراتيجي الجديد من خلال المنظر الكلاسي comprehensive approach ومبدأ تقاسم حل المشاكل shared problem solving approach (٢٠).

٧- انعكاسات توجه حلف شمال الأطلسي نحو الشرق الأوسط على الأمن القومي العربي

ترتب عن توجه حلف شمال الأطلسي نحو المنطقة العربية العديد من الانعكاسات التي مسّت وتمس الأمن القومي العربي:

* تزايد اعتماد دول منطقة الشرق الأوسط الكبير على حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة الأميركية: تسيطر الولايات المتحدة الأميركية بترسانتها العسكرية المتطورة على توجهات وسياسات حلف شمال الأطلسي العسكرية، وبالتالي فالتواجد الأطلسي في منطقة الشرق الأوسط الكبير جعل المنطقة في تبعية عسكرية، تحت المظلة الأمنية العسكرية الأميركية والأطلسية.

* تغيير الإدراك لمصادر التهديد للأمن القومي العربي: لقد كان لتوسع حلف شمال الأطلسي وتحركه خارج حدود دوله الأعضاء ومحاولته تطبيق إستراتيجية إدارة الأزمات، إسهام في إعادة صياغة التفاعلات الدولية والتأثير في حركتها ومسارها، حيث تزايدت وتيرة الاختراق الخارجي للأمن العربي، مع إعادة هيكلة المنطقة وفق المنظر الأطلسي الأميركي.

* التأثير على توجهات نخب وقادة الدول العربية: ظلت مجموعة من المفاهيم على غرار مقاومة التدخلات الخارجية وانتهاج سياسات مضادة للأحلاف، التي تسعى لربط الدول العربية بالقوى الكبرى، والوقوف ضد دمج إسرائيل في المنطقة العربية صامدة إلى غاية ١٩٩٠، ولكن أعقبت هذه الفترة مجموعة من المتغيرات مثل حرب الخليج الثانية، والاحتلال

"The new strategic concept and the Great Middle East" on: [http://archive.atlantic-community.org/app/webroot/files/articlepdf/The new Strategic Concept and the Greater Middle East](http://archive.atlantic-community.org/app/webroot/files/articlepdf/The%20new%20Strategic%20Concept%20and%20the%20Greater%20Middle%20East).

الأميركي للعراق، ما أدى إلى تغيير مدركات النخب العربية حول القضايا الأساسية في المنطقة، فالتقاء مصالح وأهداف بعض الدول العربية والأنظمة الفرعية فيها مع المصالح الغربية وأطراف خارجية، أدى إلى تحويل المدركات السابقة المشتركة، فمثلاً أصبحت الكويت والسعودية تنظران للعراق كمصدر تهديد بدلاً من إسرائيل، كما ترى قطر في السعودية مصدر تهديد محتمل.

كما أبدت بعض النظم العربية تفهما لسياسات العنف التي تنتهجها إسرائيل في فلسطين والاعتداءات المتكررة في جنوب لبنان، كما تمّ تقبل والتسليم بالمسميات التي تطبع التواجد الأميركي والأطلسي في منطقة الشرق الأوسط الكبير، حيث أصبحت الترتيبات العسكرية في المنطقة تسمى قواعد وتسهيلات، وتسمى الترتيبات الاقتصادية بالقواعد والتنظيمات المساهمة في تطور الاقتصاد العالمي، أمّا التدخل في الشؤون الداخلية فهو دفاع عن حقوق الإنسان والأقليات^(٢١).

* تراجع الإرادة القومية في معالجة القضايا الأساسية: أصبحت المنطقة العربية في حالة انكشاف أمني، حيث تمّ إعادة هيكلة أنظمتها بما يتماشى ومصالحها وأولوياتها الجديدة، وبذلك تصادمت مع بعضها البعض، وهو ما شكل صورة عداء بين دول المنطقة وقد نجم عنه غياب الاهتمام بالقضايا الأساسية المشتركة على غرار الصراع العربي الإسرائيلي والذي تحول إلى صراع فلسطيني إسرائيلي، وأصبح بذلك من الصعب التوصل إلى اتفاقيات نهائية حول العديد من القضايا الأمنية الأخرى المتعلقة بالأمن الطاقوي، والأقليات... فمؤسسات صنع القرار العربية أصبحت تفتقد للقدرة على دراسة البدائل المتاحة، التي تخدم الأمن القومي العربي ككل^(٢٢).

خاتمة

لقد كان لتدخل حلف شمال الأطلسي وتوجهه نحو منطقة الشرق الأوسط الكبير العديد من التبعات الأمنية التي أعادت رسم خارطة المنطقة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمجتمعية، وبذلك فتحت المجال لتصاعد التوتر والاستقرار الأمني المتبوع بالتحديات الأمنية الصاعدة ذات الطابع الانتشاري، كما أنّ حلف شمال الأطلسي قد أظهر ضعف نسبة تأثيره مقارنة بأداء الدول الأعضاء فيه على غرار الولايات المتحدة الأميركية. فمنطقة الشرق الأوسط الكبير دخلت تحت المظلة الأمنية الأطلسية الأميركية، لاجتماع مجموعة من الأسباب لدى الدول الأعضاء في الحلف طغى عليها الطابع البراغماتي نظراً للأهمية الجيوستراتيجية التي تحظى بها دول الشرق الأوسط الكبير، بالإضافة إلى التهديدات الأمنية الجديدة على غرار الإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للحدود، والفشل الدولي، والنزاعات الإثنية، مشكلة الطاقة، والتي تعتبر من أهم المشاكل والتحديات الأمنية

(٢١) محمد حسون، مرجع

سابق، ص ٣٦٤ -

٣٦٥.

(٢٢) نفس المرجع السابق

ص ٣٦٦.

المشتركة بين دول منطقة الشرق الأوسط الكبير وحلف شمال الأطلسي، ما يجعل منها بيئة خصبة لتطبيق الإستراتيجية الأطلسية الأميركية، وقد تزايد الاهتمام بها والتركيز عليها في المفهوم الاستراتيجي الجديد الذي صاغه الحلف، مع تحمل ما ينجم عنها من تبعات في شقيها السلبي والإيجابي سواء بالنسبة للدول الأعضاء في الحلف أو لدول منطقة الشرق الأوسط الكبير.

إنّ توجه حلف شمال الأطلسي المحكوم بالمنظار الواقعي من جهة ومنظار الأمننة من جهة أخرى ، مكنّ من استمرارية الحلف وبداية تحوله إلى منظمة أمنية عالمية، كان لها التأثير في إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط الكبير، على إثر اللاستقرار والتوتر الذي شهدته معظم دول المنطقة □